

جامعـــة الأزهـــر
كليـــة أصـــول الديـــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

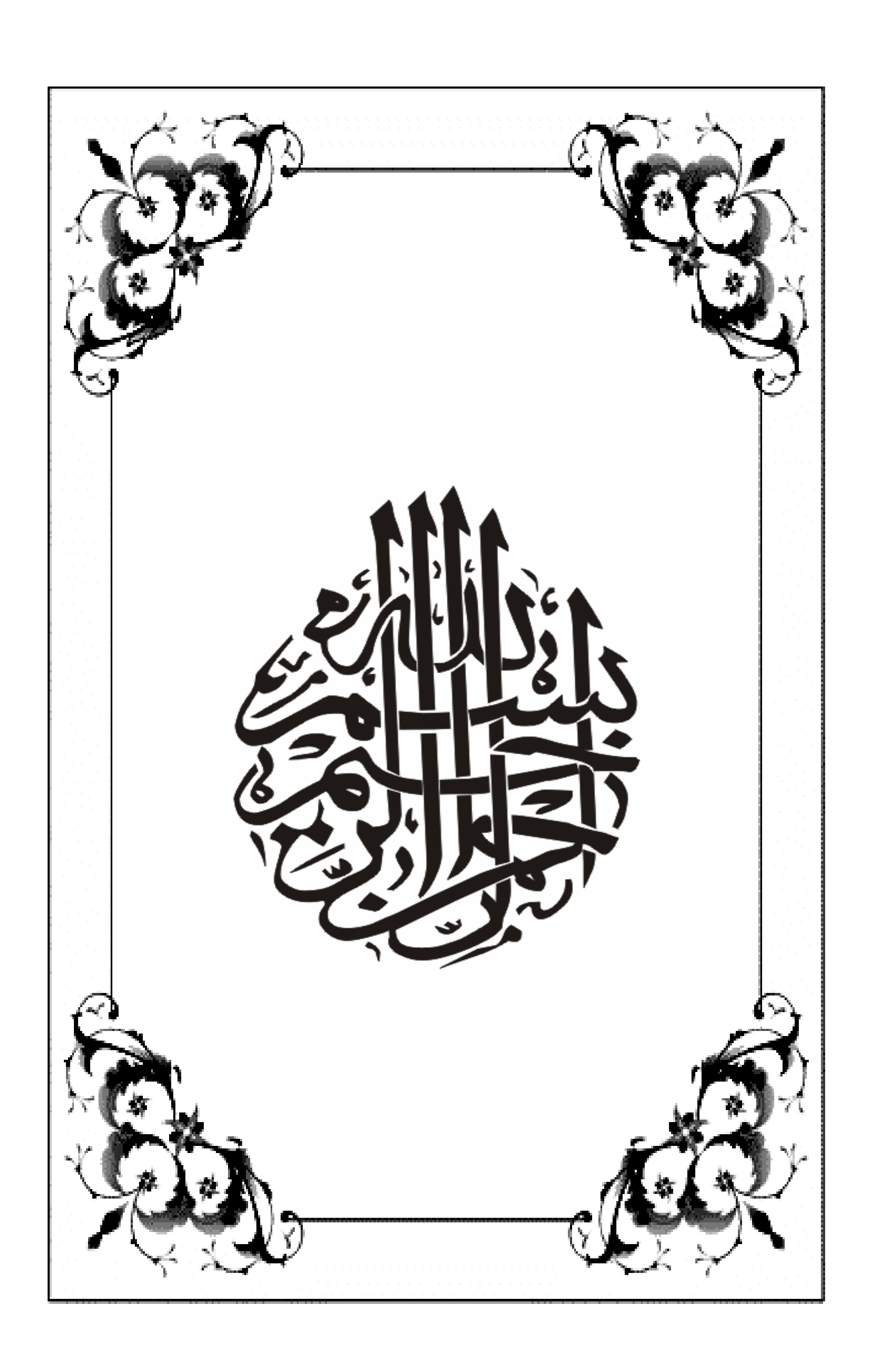
بحث موسوم بـ :

التفاؤل في حياة الأنبياء (عليهم السلام)
(على ضوء النصوص القرآنية)

إعداد الأستاذ الدكتور

راشد سعد العليمي

قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية الأساسية –
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب – بدولة الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

التفاؤل في حياة الأنبياء (عليهم السلام) على ضوء النصوص القرآنية

راشد سعد العليمي

قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية الأساسية – الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب – بدولة الكويت

البريد الإلكتروني: rs.alolaimi@paaet.edu.kw

ملخص البحث:

بفضل الله تعالى، تناولت في هذا البحث جوانب مهمة لرقي النفس البشرية في انفعالاتها وتقلباتها في الحياة، واخترت هذا الموضوع وذلك لأهميته في حياتنا، ولحاجة كل إنسان إلى التعلق بجانب الأمل والنظرة المشرقة وعدم اليأس، مع أهمية ترك الإحباط والركون إلى الأسى والتعلق بآلام الماضي، وهذا كله يحمله وصف التفاؤل، وتم بحث هذا العنوان من جوانب عديدة، ابتداء من توضيح لتعريف مصطلح التفاؤل، ثم بيان مشروعيته في ديننا وأهميته مع بيان ما يتعلق بالتشاؤم والتطير، وذلك لصلتهما الوثيقة بهذا الموضوع.

ورأيت أنه من الأهمية الالتفات إلى وضع ضوابط في قيمة التفاؤل، من جهة الضوابط الشرعية فيه، مع معرفة وتوضيح أقسام التفاؤل، مع ذكر أمثلة على ذلك من آيات القرآن الحكيم، ثم لتوضيح ما يتعلق بعنوان البحث رأيت أن أسوق أمثلة عن التفاؤل في حياة بعض الأنبياء (عليهم السلام)، وهم النموذج الكريم الذي نقتدي به في مسيرتنا الدعوية في الحياة، مع بيان ما وقع عليهم من أمور قاسية، وتعاملات شديدة مع من يخالفهم العقيدة، ومع هذا كانوا في أوضح صور التفاؤل والأمل الكريم بالله سبحانه.

كما أوردت جوانبًا متعقلة لقيمة التفاؤل من خلال علاقتها الوثيقة مع أسماء الله المباركة، التي إن تدبّر الإنسان معانيها لوجد أنها جميعا تشرق بنور التفاؤل والأمل المبارك الذي يلتمسه كل فرد منا، والله اسأل أن يجعل لهذا البحث القبول والتوفيق.

الكلمات المفتاحية: التفاؤل– حياة – الأنبياء – النصوص – القرآنية.

Optimism in the Life of the Prophets in the Light of Quranic Texts

Rashid Saad Al-Alimi

Department of Islamic Studies - College of Basic Education - Public Authority for Applied Education and Training - State of Kuwait.

E. mail: rs.alolaimi@paaet.edu.kw

Abstract:

With the grace of God Almighty, I dealt with in this research which bore the name: (optimism in the life of the prophets, peace be upon them in the light of the Qur'anic texts), and I chose this topic because of its importance in our lives, and the need for every person to cling to the aspect of hope and a bright outlook and not to have despair and avoid frustration and this all bears a description optimism.

This title has been discussed in many aspects, starting with an explanation of the definition of the term optimism, then explaining its legitimacy in our religion and its importance, with an explanation of what is related to pessimism and unpredictability, as they relate to this topic. And I thought that it is important to pay attention to setting controls over the value of optimism, in terms of the legal controls in it, with knowledge and clarification of the sections of optimism, with examples of that from the verses of the wise Qur'an. Then, to clarify what is related to the title of the research, I saw that I cite examples of optimism in the lives of the prophets, and they are the generous model that we follow in our missionary path in life, with the harsh things that happened to them, and severe relations with those who contravene the faith.

In the last topic, rational aspects of the value of optimism were mentioned through its close relationship with the blessed names of God, which if a person pondered their meanings would find that they all shine in the light of optimism and blessed hope. And I ask God to grant this research acceptance and success.

Keywords: Optimism - Life - The Prophets - Texts - The Quran.

تحرير أهم مصطلحات العنوان

(التفاؤل)

أولا: التعريف اللغوي

التفاؤل لغة: هو مصدر تفاءل، يقال تفاءلت به وتفأل به، والتفاؤل صيغة تفاعل، وهذه الصيغة لها أكثر من دلالة، وهي هنا تعني التظاهر بالفعل دون حقيقته، وهو التكلف في الفعل.

والتفاؤل من حيث المعنى العام هو(الفأل): وهو أن تسمع كلاماً حسناً فتتيمن به، وهو ضد الطيرة، والجمع فؤول، ويجوز أفؤل، قال ابن الأثير: يقال تفاءلت بكذا وتفألت، على التخفيف والقلب، ويقال: تفاءل الشَّخصُ من الشَّيء: استبشر خيرًا.

وفي لسان العرب: "وأصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتأول منها ما يدل على برئه؛ كأن سمع مناديًا نادى رجلاً اسمه سالم، وهو عليل، فأوهمه سلامته من علته، وكذلك المضل يسمع رجلاً يقول: يا واجد. فيجد ضالته.([1])

وجاء تعريف التفاؤل في معجم اللغة العربية المعاصرة أنه: "استعداد نفسيّ يهيّئ لرؤية جانب الخير في الأشياء والاطمئنان إلى الحياة، فهو يساعد على تحمُّل مصاعب الحياة".([2])

ثانيا: التفاؤل في الاصطلاح

وأما التفاؤل اصطلاحاً، فممكن استقاء معناه من التعريف اللغوي، ومن خلال بيان آثاره، ومما جاء في معناه أنه: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقُّع الخير بما يسمعه من الكلام الصالح.([3])

---

(١) لسان العرب (٤/ ٥١٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٢/٤٨٤).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، (٣/٦٦٠).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٣/ ١٠٤٦).

وورد أنه مثل أن يكون رجل مريض، فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ مِن مرضه، ويجد ضالته.(1)

وقد أوضح النبي (ﷺ) المعنى له بكل وضوح من حديث أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: **(لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ)** قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: (الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ).(2)

ونظرا لتعلق التفاؤل بالحالة النفسية لكل إنسان فقد تعددت تعريفات علماء النفس تحديدًا لمفهوم التفاؤل حسب نظرة كل باحث حول هذا الموضوع، ومن ذلك: "أنه نظرة استبشار نحو المستقبل تجعل الفرد يتوقع الأفضل، وينتظر حدوث الخير، ويرنو إلى النجاح، ويستبعد من خلا ذلك"(3)، كما جاء أيضا في تعريف التفاؤل: أنه صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية نحو الحياة بصفة عامة، يستبشر الخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً وأحسن حالاً(4).

وعليه: فالتفاؤل من بعد هذا هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظّنّ، وتوقّع الخير بما يسمعه من الكلم الصّالح أو الحسن أو الطّيّب.

---

(1) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (4 /ـ406).

(2) رواه البخاري، باب الطيرة، رقم (5754)

(3) التفاؤل والتشاؤم، المفهوم والقياس والمتعلقات، (ص: 14، 15)

(4) التفاؤل في زمن الكروب، (ص: 12)

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد.**

فمما لا شك فيه أنَّ كتاب الله كتاب حياة وسلوك، مع ما تضمنه من توجيه عقدي وتشريعي، يقود المتبع لأوامره ونواهيه إلى حياة كريمة مباركة، فيها رضا الله (ﷻ)، والتسليم لقضائه، ورجاء مغفرته ورضوانه وجميل عطاءاته، ونحن جميعا بحاجة للأمل الدافع إلى المسير في الحياة المتقلبة بكدرها ومنغصاتها، لتهذيب الفرد بالسعادة والرضا في جماعته من جانب الظاهر والباطن، وليكون بعدها منطلقاً في حياته بروح الأمل وحسن الظن بربه، بعيداً عن الكسل والنظرة التشاؤمية التي تعيق تقدمه، وقد تحجزه عن التطور في حياته.

أهمية الموضوع:

إن المتأمل في كتاب الله (ﷻ) يجد تقريبا في كلِّ سورة الدعوات إلى العيش في التفاؤل والرجاء والأمل، وهي كلها عوامل تحثُّ الناس جميعاً إلى العمل الجاد المثمر، ونبذ اليأس التشاؤم والتقاعس، وأن ينظروا للحياة نظرة رائعة، فيها الجد والمثابرة للانخراط في كلِّ ميدان كريم، يسعون فيه لبلوغ رضا الرحمن، وينشدون منه تحقيق المصلحة للناس كافة.

ومن هذا المنطلق أحببت أن أقدم دراسة موجزة حول ما يتعلق بهذا السلوك المبارك الراقي الذي تميز به ديننا، فجاء هذا البحث الذي يحمل عنوان: "التفاؤل في حياة الأنبياء (عليهم السلام) على ضوء النصوص القرآنية".

منهج الدراسة:

لقد اعتمدت في هذا البحث على عدة مناهج، دعت الحاجة إليها منها(١):

أولا: المنهج الاستردادي:

الذي يقوم على توثيق المعلومات البحثية واستردادها إلى مصادرها الأصيلة بأمانة علمية، وهو ما يعرف أيضا بالمنهج التوثيقي، وهو: "المنهج الذي يقوم على توثيق النصوص قبل اعتمادها مصدرًا للحكم"(٢).

ثانيا: المنهج الاستدلالي:

حيث أقمت الدليل على جميع القضايا التي تخص القضية موضح البحث، وقمت بتدعيم البحث بآيات من القرآن الكريم لها علاقة بالظاهرة موضع الحدث، مع ذكر تفسيرها غالباً، كما قمت بشرح وتحليل الأحاديث التي سيقت للاستدلال على شيء من ذلك، فالمنهج الاستدلالي "منهج يبدأ من قضايا مبدئيّة مسلّم بها إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضّرورة، دون الالتجاء إلى التّجربة. ويتمّ هذا بواسطة القول، أو بواسطة الحساب"(٣).

ثالثا: المنهج التحليلي:

وهو يقوم على دراسة المشكلات العلمية المختلفة تفكيكا "التفسير" أو تركيبا "الاستنباط" أو تقويما "النقد" من أجل الوصول إلى حلول علمية وعمليه لهذه

---

(١) تُنظر هذه المناهج كاملة في: مهارات البحث العلمي في الدراسات التربوية والاجتماعية د. حافظ فرج أحمد صـ٤٥، ط عالم الكتب.

(٢) انظر: "مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام"، د. حلمي عبد المنعم صابر، صـ ٢٦، ط. مكتبة الإيمان ط. الثانية، سنة ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

(٣) "مناهج البحث العلمي في الإسلام": عبد الرّحمن بدوي، صـ ١٨، ١٩، ط. وكالة المطبوعات، الكويت، ط. الثالثة، سنة ١٩٧٧م.

المشكلات"(1)، حيث قمت بالعرض والتحليل للنقاط الهامة موضع الدراسة، وسرت على استخراج ما في النص من إشارات متصلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد، بطريقة تحليلية يُمكن من خلالها تحقيق الأهداف اعتماداً على عمل منضبط ومرتب للأجزاء التي يتألف منها النظام كله، بهدف الوصول إلى النتائج والتوصيات.

رابعًا: المنهج الاستنباطي:

وهو المنهج الذي يتيح التوصل إلى القوانين التي تتوقف على طبيعة القضية، حيث ينتقل الباحث من المقدمات إلى النتائج(2). ويقصد به: «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة»(3)، أو: "استنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها"(4)، أو: "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا"(5).

ولقد راعيت في بحثي الأمور التالية:

أولاً: عزوت الآيات القرآنية إلى السور التي وردت فيها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، وذكر أقوال بعض أئمة التفسير غالباً، كما قمت بتخريج

---

(1) أبجديات البحث في العلوم الشرعية د. فريد الأنصاري صـ96 منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1 1417هـ-1997م.

(2) مناهج البحث العلمي د. عبد اللطيف محمد العبد صـ57 ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط 1398هـ-1979م.

(3) "التعريفات": علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، صـ22، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الأولى 1403هـ -1983م.

(4) مناهج البحث العلمي د. عبداللطيف العبد صـ11، ط مكتبة نهضة مصر الحديثة، بدون تاريخ.

(5) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم د عوض الله حجازي صـ161، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

جميع الأحاديث النبوية الواردة بين ثنايا البحث تخريجا علميا، وأما ما ورد في (العهد القديم) فقد عزيته إلى أصله المترجم باللغة العربية ذاكرا السفر والإصحاح ورقم المقطع.

ثانياً: حرصت على جمع المعلومات من مصادرها ومراجعها الأصيلة مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

ثالثا: اعتمدت في هذه الدراسة على مراجع ذات صلة وثيقة بالقضية موضع الحدث لزيادة التوضيح والبيان.

رابعا: التزمت الأمانة العلمية، فنسبت كل قول إلى قائله، وإن كان بتصرف أشرت إلى ذلك، مع كتابة اسم الكتاب ثم المؤلِّف ثم المحقق إن وجد ورقم الجزء إن وجد والصفحة وتاريخ ومكان الطبع إن وجد، وهذا عند ذكر المرجع لأول مرة، واستغنيت باسم الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة بعد ذلك حينما يتكرر الرجوع إلى نفس المرجع مع الإشارة إلى أنه مرجع سابق، باستثناء المرات القليلة، من باب التذكرة.

خامسا: اعتنيت بقواعد اللغة العربية والإملاء، وعلامات الترقيم، ومنها علامات التنصيص بحسب المنهج الأكاديمي المتبع.

سادسا: قمت بترتيب المصادر والمراجع في نهاية البحث على حسب التخصص الدقيق للمرجع، بادئاً باسم المُؤلَّف ثم المؤلِّف، مع الإشارة إلى رقم الطبعة وتاريخها ومكان الطبع إن وجد.

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا البحث تقسيمه إلى ستة مباحث يسبقها مقدمة كما زيَّلته بخاتمة، يتبعها ثبت المراجع والمصادر، ففهرست الموضوعات، وعلى هذا جاء البحث مرتَّباً على النحو التالي:

التفاؤل في حياة الأنبياء (عليهم السلام) على ضوء النصوص القرآنية.

المبحث الأول: مشروعية التفاؤل وأهميته في حياة الناس.

المبحث الثاني: أقسام التفاؤل وضوابطه.

المبحث الثالث: التشاؤم والتطير بين أهمية تركهما وحال الناس معهما.

المبحث الرابع: التفاؤل من خلال بعض آي القرآن الكريم وسوره.

المبحث الخامس: التفاؤل عند أنبياء الله تعالى (عليهم السلام) من خلال آي القرآن الكريم.

المبحث السادس: دراسة لبعض أسماء الله – تعالى– المتعلقة بالتفاؤل.

الخاتمة، وتشتمل على:

أهم النتائج.

أهم التوصيات.

فهرست الموضوعات.

المبحث الأول

مشروعية التفاؤل وأهميته في حياة الناس

إن الناظر في كتاب ربنا لن يجد ما يدل على مصطلح التفاؤل صراحة بلفظه، ولكن المتدبر لآيات ربنا سبحانه يرى بين ثنايا الكلام المبارك الدعوات الواردة بلفظ غير صريح لكنها دال على قيمة التفاؤل، والداعية لحسن الظن بالله، وكريم الرجاء به لعواقب الأمور، وهو ما سيكون محور البحث في المباحث القادمة.

ولما كان التفاؤل صفة إيجابية وخلقاً كريماً، وإنما تطيب الحياة بالأمل والتفاؤل، جاءت النصوص الشرعية لتعزز هذه الصفة في النفس وتؤكد عليها، لذا فإنا نرى في سنة نبينا (ﷺ) ما يتعلق بالتفاؤل صراحة، وحرصه على تعليم من حوله على التفاؤل والإشراقة في الحياة، والحذر من التشاؤم والتطير، ومن ذلك ما رواه أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: (لا عدوى([1]) ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة)([2])، جاء في شرح النووي "وإنما أحب الفأل، لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى، فإن ذلك شر له، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء، ومن أمثال التفاؤل أن يكون له مريض فيتفاءل بما يسمعه، فيسمع من يقول: يا

---

(١) (العدوى): انتقال المرض من إنسانٍ لآخر، وقال علي الهروي (رحمه الله): "معنى (لا عدوى): نفي ما كانوا عليه من أن المرض يُعدي بطبعه لا بفعله سبحانه؛ (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ــ علي الهروي ــ (٧/٢٨٩٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل (٧/١٣٥) ح (٥٧٥٦)، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم (٧/٣٣) ح (٥٩٣٣).

سالم، أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول: يا واجد فيقع في قلبه رجاء البرء أو الوجدان والله أعلم.(١)

وعن أبي هريرة (ﷺ) **قال:** "كان النبي (ﷺ) يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة".(٢)

وعن أنس (ﷺ) أن النبي (ﷺ) كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد، يا نجيح(٣)، قال ابن بطال: "كان النبي (ﷺ) يستحب الاسم الحسن والفأل الصالح، وقد جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى والمنظر الأنيق".(٤)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه (ﷺ) أن النبي (ﷺ) كان لايتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤى بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤى كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤى بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤى كراهية ذلك في وجهه(٥)، لذا ينبغي للإنسان أن يختارَ لولدِه وخَدَمِه الأسماءَ الحسنةَ، فإن الأسماءَ المكروهةَ قد تُوافق القَدَرَ؛ يعني: لو سمَّى أحدٌ ابنه بـــ (خَسَار) فربما جرى قضاء الله بأن يلحق خَسَار ذلك المسمى بـــ (خَسَار)، فلما لحقه ذلك الخَسَار المقدَّر يعتقد بعضُ الناس أن لحوقَ ذلك الخَسَار بسبب اسمه، فيتشاءم الناس به، فيحترزون مجالستَه ومواصلتَه، ويصير معروفًا بالشؤم؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يُسمِّيَ ابنه أو غيرَه باسمٍ يصير بسبب ذلك

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٢١٩/١٤).

(٢) سنن ابن ماجه، ح (٣٥٣٦).

(٣) سنن الترمذي، أبواب اليسر، باب ما جاء في الطيرة (٢١٣/٣) ح (١٦١٦).

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤٣٧/٩).

(٥) سنن أبي داود، ح (٣٩٢٠)، وفي مسند أحمد، (٣٤/٣٨) ح (٢٢٩٤٦).

الاسم مبغوضًا مشؤومًا بين الناس، وكراهيةُ رسولِ الله (ﷺ) الاسمَ القبيحَ لأجل هذا، فإن الاسمَ الحسنَ محبوبٌ في طباع الناس، والاسمَ المكروهَ مبغوضٌ في طباع الناس، فاختيارُ المحبوبِ على المبغوضِ من غاية كمال عقل الإنسان.(١)

هذا، ولقد اقتضت سنة الله في كونه أن استمرار الحياة قائم على العمل والجدّ والانطلاق، وهذا يعني أن يكون الإنسان محباً للعمل، عنده الهمّة التي تبلغه القمّة، بعيداً عن اليأس والتشاؤم والتعلق بالماضي، والتفاؤل هو سنة العمل وسنة الفطرة التي تثمر الانطلاق نحو النجاح والاستثمار، وتحقيق المصالح التي تجعل الحياة جميلة راقية، وهو عنوان الثقة بالله، فلا تجد نفس المتفائل إلا في انشراح واستبشار وسعادة، والمسلمون اليوم بحاجة إلى من يبث الأمل في نفوسهم، الدعاة، المربون، عامة الناس، فمهما طال الليل وادلهمّ، ومهما تكالب أهل الشر فإن الله تعالى يخرج من ينشر هذا الدين، ومن يقوم بحمله، "يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله)(٢).

وإن النّاس صنفان: يائس متشائم يواجه تحدّيات الحياة بالهزيمة والهرب والاستسلام، وآملٌ متفائل يواجهها بالصبر والكفاح، والشجاعة والإقدام، والثقة بالنصر، فالتفاؤل، مما يعين على مصابرة الشدائد والخطوب، وتحقيق المقاصد والغايات.

وأعلى مراتب التفاؤل أن نتوقّعَ الشفاءِ عند المرض، والنجاحَ عند الفشل، والنصرَ عند الهزيمة، وأن تتوقّع تفريج الكروب، ودفع المصائب والنوازل عند وقوعها، وليعلمْ يقينًا بأن الله سبحانه ما ابتلاه إلا ليرقيَه في مدارج الكمال؛ مصداقًا لقوله تعالى: **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}** (البقرة: ٢١٦)،

(١) المفاتيح في شرح المصابيح،(٥/٩٤).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١١).

فالتفاؤل في هذه المواقف يولّد مشاعر الرضا والتحمّل والثقة، ويبعد مشاعر اليأس والانهزامية والعجز، أساس التفاؤلأن تثق بالله وترضى بقضائه، وأن تعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك؛ فلا تستبطئ الرزق، ولا تستعجل النجاة، ولا تقلق على حال الأمة.

ومن خلال الآتي تظهر أهمية قيمة التفاؤل في دنيا الناس:

أولاً: للتفاؤل أثر عجيب في أداء العبادة، فالتفاؤل برحمة الله (ﷻ) المحسن الظن به يدفع العبد لأداء العبادة على الوجه الأكمل، لأنه يرجو الخير من ربه، قال تعالى: {**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**} [الزمر: ٩]، فالمؤمن مطيع لربه، خاشع وخاضع له، يصلي اللّه في ساعات الليل، وخشوعه مستمر حال سجوده وحال قيامه، يخاف الآخرة، ويرجو رحمة ربه، فيجمع بين الخوف والرجاء، وتلك هي العبادة الكاملة، التي يفوز بها صاحبها؟، وإذا كان بهذا الشعور الإيماني {**وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**} فإنه سينشط في العبادة، ويؤديها بخشوع وخضوع، لأنه مرتاح النفس مطمئن القلب.

ثانياً: التفاؤل علامة الثقة بالله تعالى، فالمسلم المتفائل يؤمن بأن الله ميسر له الخير لا محالة، وقد أمر عباده بحسن الظن به وعدم اليأس القنوط من رحمته، فقال تعالى: {**يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**} (يوسف: ٨٧)، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال النبي (ﷺ): (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني)([١])، وكلٌّ ذلك مراعاة لحسن الظن والتفاؤل لمستقبل واعد.

---

(١) صحيح البخاري، ح (٧٤٠٥)، صحيح مسلم، ح (٦٩٨١).

ثالثاً: ومما يدل على أهمية التفاؤل في حياةالمسلم أنه يولد لدى المتفائل نشاط مثمر وقوة وشجاعة، فتراه غير آبه بالصعاب والعقبات، وهذه الطاقة هي ثمرة الثقة بالله رب العالمين، ومن كان متفائلاً بنصر الله وتأييده فلن تجزعه قوة بشر.

رابعاً: مما يدل على أهمية التفاؤل في حياة الفرد أنه يجلب السعادة للقلب، والهناء للنفس، فالمسلم حين يكون متفائلاً بعواقب الأمور، مؤملاً بحسن العواقب وانقشاع الغمة فإن ذلك يبعث في النفس راحة، وفي القلب انشراحاً وطمأنينة، قال ابن بطال (رحمه الله): "جعل الله في فِطَر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها، كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي، وإن كان لا يَملِكه ولا يشربه".(1)

خامساً: ومما يدل على أهمية التفاؤل أن له تأثيراً بالغاً في صحة الإنسان، فالنفس المتفائلة في راحة وصحة في البدن، لذا ترى المريض حين يسمع عن تحسن في صحته، وأن نتائج التحاليل تبشر بالخير فإنه يصحو بدنه، وتقوي مناعته، لذا كان من هدى الإسلام عند عيادة المريض ألا يسمع إلا ما يبشر بخير، وكان نبينا (ﷺ) حين يزور المريض يقول لا بأس طهور(2)، وكم من مريض علته في طريقة تفكيره واستدعائه لأحزانه وهمومه، وتخوفه من الماضي.

وهنا ملحظ ينبغي الانتباه إليه، وهو أن التفاؤل الذي دعت إليه الشريعة وأقرته، هو ما يبعث على الهمّة وينشر العزيمة، ويولد الحماسة في النفس لمزيد من العمل والعطاء، وليس معناه التواكل وترك الأسباب بحجة إحسان الظن بالله

---

(1) فتح الباري (١٠/٢٢٥).

(2) صحيح البخاري، ح (٣٦١٦).

تعالى، فهذا لون، وما نتحدث عنه لون آخر، وهو الذي يتناغم مع مبادئ الشريعة وقيمها النبيلة، ولهذا قال الحليمي (رحمه الله): وإنما كان (ﷺ) يُعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوءُ ظنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ مُحقق، والتفاؤل حُسن ظنٍّ به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.(1)

(1) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

المبحث الثاني

أقسام التفاؤل وضوابطه

لقد تكلم أهل العلم عن التفاؤل، وقد أفاضوا في بيان أهميته في حياة المسلم، وكيف أنه من الدوافع الجميلة للمضي في إنجازات موفقة بإذن الله تعالى، وفي هذا المبحث، توضيح ما يتعلق بأقسام التفاؤل، وبيان المرخص فيه من النبي (ﷺ)، فيمكن تقسيم التفاؤل إلى قسمين واضحين: التفاؤل المشروع، والتفاؤل المحرم، وتوضيح هذا كالآتي:

الأول: التفاؤل المشروع

وهو ما يأتي اتفاقاً من غير قصد لمن مضى في فعله، فيندفع بعدها حثيثًا لفعل ما عزم عليه، من مثل: الكلمة الحسنة يسمعها الإنسان من غير قصد، نحو: يا راشد، يا مسعود، تسمية الولد بالاسم الحسن، حتى متى سمع استبشر القلب، المنظر الحسن يراه الرجل من غير قصد فيستبشر به، إرسال الرسول الحسن الوجه لقضاء الحوائج، وطلب الحوائج ممن كان حسن الوجه أملاً في قضائها.

فهذا كله فأل حسن مباح مشروع(1)، قال النووي: "وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمّل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شرٌ له"(2)، وقال الماورديّ: "فأمّا الفأل ففيه تقوية

(1) الطيرة والفأل، لسعاد بنت محمد السويد، (ص: ٢١٠).

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢١٢).

للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظّفر؛ فقد تفاءل رسول الله (ﷺ) في غزواته وحروبه".[1]

الثاني: الفأل الحرام

وقد ذكر العلماء ما يتعلق بهذا القسم، أنه أخذ الفأل من طريق غير مشروع مبتدع، فيتعلق به الفاعل قبل الشروع بعمله، فيكون هو الباعث أو المثبط له عن الفعل.

وله صور عديدة في حياة الناس، من مثل: أخذ الفأل من المصحف، وضرب الرمل وورق اللعب، وهذه كلها حرام، لأنها مقصودة بذاتها، وفيها تعلّق بها واضح ومقصود، وهي مشابهة لما يفعله أهل الجاهلية في الاستسقام بالأزلام، بأن تدفع الإنسان للفعل أو النكوص عنه، قال القرافي (رحمه الله): "وأما الفأل الحرام فقد قال الطرطوشي في تعليقه إن أخذ: الفأل من المصحف وضرب الرمل والقرعة والضرب بالشعير، وجميع هذا النوع حرام؛ لأنه من باب الاستقسام بالأزلام ... وكذلك من أخذ الفأل من المصحف أو غيره إنما يعتقد هذا المقصد إن خرج جيدا اتبعه أو رديئا اجتنبه ، فهو عين الاستقسام بالأزلام الذي ورد القرآن بتحريمه فيحرم".[2]

كما اعتنى علماؤنا بالتفاؤل أيما اهتمام، وفصلوا القول في بيانه وضوابطه وأحكامه، حتى يكون المسلم منه على بينة تامة، وحجة واضحة، ومما ذكروا من ضوابطه الشرعية التي توجّه مساره بأمر واضح ليكون وفق المسار الشرعي الصحيح، ما يأتي:

(١) أدب الدنيا والدين (ص:٢٠).
(٢) الفروق (٤/٢٤٠)، ومثله في "الفواكه الدواني" (٢/٣٤٢).

أولاً: الحرص على فهم مسار التفاؤل وفق ما قرره العلماء استنادًا على النصوص الشرعية.

ثانياً: الحذر من مشابهة أفعال الكفار في جلب الفأل لأنفسهم، قال تعالى: **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ}** (المائدة: ٣)، والاستقسام بالأزلام هو نوع من التطير، وتعلق النفس بغير الله، بأمور تبعدها عن التفاؤل وجميل التعلق بالله سبحانه، قال السعدي: "**{وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ}** أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام، ومعنى الاستقسام: طلب ما يقسم لكم ويقدر بها، وهي قداح ثلاثة كانت تستعمل في الجاهلية، مكتوب على أحدها "افعل"، وعلى الثاني "لا تفعل"، والثالث غفل لا كتابة فيه، فإذا هَمَّ أحدهم بسفر أو عرس أو نحوهما، أجال تلك القداح المتساوية في الجرم، ثم أخرج واحداً منها، فإن خرج المكتوب عليه "افعل" مضى في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه"لا تفعل" لم يفعل ولم يمض في شأنه، وإن ظهر الآخر الذي لا شيء عليه، أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل به، فحرمه الله عليهم، الذي في هذه الصورة وما يشبهه، وعوضهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم، وقوله **{ذَلِكُمْ فِسْقٌ}** الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات، التي حرمها الله صيانة لعباده، وأنها فسق، أي: خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان".

ثالثاً: ألا يعتمد على الفأل بذاته، وألا يكون مقصودًا، بل يتفق للإنسان في ذلك من غير أن يكون له بالاً، قال ابن تيمية: "والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه متوكلاً على الله (ﷻ)، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك".[١]

---

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٥٢).

رابعاً: الفأل إذا قصده الإنسان بذاته أصبح طيرة كالاستسقام بالأزلام، لأنه أصبح هو المحرك للإنسان في أداء عمله، فعن معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان، قال: فلا تأتوا الكهان، قال: قلت: كنا نتطير، قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم([1]). قال ابن تيمية: "فنهى النبي (ﷺ) أن تصد الطيرة العبد عما أراد، فهو في كل واحد من محبته للفال، وكراهته للطيرة، إنما يسلك مسلك الاستخارة لله، والتوكل عليه، والعمل بما شرع له من الأسباب، لم يجعل الفال آمراً له وباعثاً له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يأتمر وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام".([2])

خامسا: لا بد أن ينبثق عن التفاؤل عمل دائب وأخذ بالأسباب، وذلك واضح من قوله تعالى: **{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}** (النساء: ١٢٣، ١٢٤).

هذا، وقد يعتقد البعض أن هناك ثمة تشابه بين التفاؤل والشرك، من جهة التعلق بأمور خارجية تجعل الإنسان يمضي قدما في عمله، ولبيان اختلاف الفأل الحسن ومجانبته عن الشرك، يقول ابن القيم: "وليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى مايلائمها ويوافقها مما ينفعها، كما أخبرهم أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يحب الشراب

---

(١) صحيح مسلم، ح (٥٩٤٩). وفي مسند أحمد، ح (١٥٦٦٣).

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ٥٢).

البارد الحلو، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كلَّ كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والربح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب".(١)

وشتان بين ما كان منطلقاً إلى أي عمل ما بعد استشارة واستخارة، فيبلغه سماعا أو نظراً ما يزيد في همته وعزمه وانطلاقه للفعل، وهذا ما تعلمناه من سنة نبينا (ﷺ)، عن ذلك الذي علَّق أمره على أمر ما ليكون هو الباعث للمضي على الفعل أو التراجع عنه، وهذا هو الشرك، قال الطيبي (رحمه الله): معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة، هو أن الشخص لو رأى شيئًا فظنَّه حسناً مُحرضًا على طلب حاجته، فليفعل ذلك وإن رآه بضد ذلك، فلا يقبله، بل يمضي لسبيله، فلو قبِل وانتهى عن المضي، فهو الطيرة التي اختُصَّت بأن تُستعمل في الشؤم.(٢)

وهذا السلوك الجميل لم نجده خالياً من توجيهات شرعية لتضبط مساره، أو تم تركه وفق ما يراه الناس، أو بما تمليه عواطفهم تجاهه، حتى لا تزل أقدامهم فيه فينحني بهم الأمر إلى تطيّر أو بدع ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤).

(٢) فتح الباري (١٠/٢٢٦).

المبحث الثالث

التشاؤم والتطير بين أهمية تركهما وأحوال الناس معهما

لقد جاء الإسلام بسماحته ويسره ليشرع للناس كل ما يصلح أمور معاشهم، وشحذ هممهم إلى معالي الأمور، والابتعاد عن سفاسفها، وكما حذر من الالتفات لكل ما يثبط العزيمة، ويفلي الهمم، كالطيرة والتشاؤم، وغير ذلك مما يُنقص الإيمان، ويضعف اليقين، ويضادُّ التوكل، ويجعل صاحبه عبداً للخرافات والخزعبلات.

فالتشاؤم يفتح على العبد باب الوساوس على مصراعيه، فتضطرب نفسه، ويتبلبل فكره، ويصاب بالهوس، فيتمكن الشيطان منه، كما أنه سبب لعمَى القلب وطمس البصيرة، ويجعل حياة صاحبه نكَدا وكدَرا وهمًّا وغمًّا.

وقبل الخوض في الحديث عنه لا بدَّ من تعريف لمعنى التشاؤم والطيرة فأقول:

إن **التشاؤم في اللغة:** من الشؤم وهو خلاف اليمن"(١)، وقيل: "الشر"(٢)، والجمع مشائيم، والواو في الشؤم همزة، لكنها خففت فصارت واواً، وغلب عليها التخفيف حتى لم ينطق بها مهموزاً، وقد شئم عليهم، وشؤم وشامهم، وما اشامه، وقد تشاءم به: تطير، ويقال: شأم فلان أصحابه إذا أصابهم الشؤم من قبله، قال الجوهري: يقال ما أشأم فلانًا، والعامة تقول: ما أيشمه، وقد شأم فلان على قومه بشأمهم، فهو شائم إذا جر عليهم الشؤم".(٣) ومعنى قولنا تشاءم: تطير وترقب الشر، وأخذ ذات اليسار أو ناحية الشام.(٤)

(١) اللسان (٧/٨)، النهاية (٢/ ٥١١)، القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

(٢) المصباح المنير (١/ ٤٤٨).

(٣) اللسان (٧/٧)، القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

(٤) القاموس المحيط (٤/ ١٣٤).

وأما الشؤم اصطلاحا:

فقد اختلفت أقوال العلماء في تحديد معناه، ولعل أجمعها أنه: "ميل النفس إلى إدراك نواحي الشؤم في الأشياء، أو ميلها إلى توقع حدوث الشر في كل شيء".([1])، ويمكن القول بأن التشاؤم: هو الشعور بتوقُّع حدوث شر أو حزن نتيجة رؤية شيء معين، أو سماع شيء معين، وهو حرام.([2])

أما الطيرة فهي لغة:

"**من اطيرت وتطيرت، ومثل الطيرة الخيرة، قال الجوهري**: تطيرت من الشيء وبالشيء، والاسم منه الطيرة، بكسر الطاء وفتح الياء، مثال العنبة، وقد تسكن الياء، وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء".([3])، وقال ابن الأثير: "وهو مصدر تطير طيرة وتخير خيرة، قال: ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، قال: وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الظباء والطير وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ولا دفع ضرر، وإنما سُمّيَ التشاؤم تطيراً؛ لأن العرب كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر قصد عش طائر فيهيجه، فإذا طار الطير من جهة اليمين تيمن به ومضى في الأمر، ويسمون هذا الطائر في هذه الحالة: السانح، أما إذا طار جهة يسار الإنسان تشاءم به، ورجع عما عزم عليه، وكانوا يسمون الطير في هذه الحالة: البارح، فجاء الإسلام فأبطل هذا الأمر ونهى عنه، وشدد في النكير على فاعله، ورد الأمور إلى سنن الله الثابتة وإلى قدرته المطلقة.

---

(١) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (١/ ٢٧٤).

(٢) الآداب الشرعية ــ لابن مفلح الحنبلي ــ (٣/ ٣٥٧).

(٣) لسان العرب (٤/ ٥١٢).

قال ابن عبّاس (ﷺ): "الفرق بين الفأل والطّيرة، أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كرهت".(١)، وقال الطّيبيّ: "معنى التّرخّص في الفأل والمنع من الطّيرة هو أنّ الشّخص لو رأى شيئا فظنّه حسنا محرّضا على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضدّ ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله. فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطّيرة الّتي اختصّت بأن تستعمل في الشّؤم".(٢)

كما أن التطير قديم الوجود في الأمم؛ فقد أخبرنا الله سبحانه أن فرعون وقومه تطيروا بموسى (عليه السلام) ومن معه: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الأعراف: ١٣١). وقبل ذلك تشاءم قوم صالح بصالح (عليه السلام) **{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}** (النمل: ٤٧)، وكذلك أصحاب القرية تطيروا برسل الله إليهم **{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (يس: ١٨)، وكان الرد عليهم جميعاً: أن ما حلّ بهم من شر أو نقص في نفس أو مال، أو ما نزل بهم من عقوبة ما هو إلا من قِبَل أنفسهم بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم، وما زال الناس وإلى يومنا هذا يتطيرون، وتطيُّرهم دليل ضعف توكُّلهم على ربهم، ونقص عقولهم وإلا؛ فأي شأن للطير أو غيره بمستقبل الإنسان وقدره؟!

وعن أهمية اجتناب التشاؤم وتركه تأتي وصيةُ رب العالمين في كتابه العزيز، ليجعل النفس المؤمنة في انشراح وأمل جميل وسعي كريم إلى كل عمل مبارك، ولهذا حذَّرنا الله تعالى من التشاؤم في كتابه العزيز في مواضع عديدة،

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

(٢) المرجع السابق.

من ذلك: قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١)، قال ابن كثير (رحمه الله): "قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾؛ أي: من الخصب والرزق، ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾؛ أي: هذا لنا بما نستحقه، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: جدب وقحط، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾؛ أي: هذا بسببهم وما جاؤوا به".[1]

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ *قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (النمل: ٤٥ – ٤٧)، قال ابن كثير (رحمه الله): قوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾؛ (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أي تشاءمنا، والشؤم النحس، ولا شي أَضَرَّ بِالرَّأْيِ ولا أفسَدَ للتَّدْبِيرِ من اعتقَادِ الطِّيَرَةِ. ومن ظنَّ أنَّ خُوَارَ بقرةٍ أو نعيقَ غُرَابٍ يرُدُّ قضاءً، أو يدفعُ مقدُورًا فقد جَهِلَ"[2]، "ولا شك أن قولهم هذا يدل على جهلهم المطبق، وعلى سوء تفكيرهم، لأن السراء والضراء من عند الله تعالى وحده".[3]، وقال جل شأنُه عن أصحاب القرية: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ *قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (يس: ١٨، ١٩)، قال الإمام القرطبي (رحمه الله): قوله تعالى: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: تشاءَمْنا بكم".[4]

(١) تفسير ابن كثير (٦ /٣٦٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢١٤) وذكر مثل هذا في تفسير ابن كثير (٦ /١٩٨).

(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي (٣٣٧/١٠).

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/١٥).

ومما سبق بيانه نلاحظ بأن التشاؤم هو سوء ظن بالله تعالى، وصرف شيء من حقوقه لغيره، وتعلُّق القلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر، وأما التفاؤل، فهو حسن ظن بالله تعالى، لا يرد عن الحوائج، ولا يحمل على المضي فيها، وحُسن الظن بالله مطلوبٌ، وسوء الظن ممنوع، وحسن الظن من خصال الإيمان والمؤمنين، وسوء الظن من خصال النفاق والمنافقين، ومن هذا قول الحليميّ: "كان النّبيّ (ﷺ) يعجبه الفأل؛ لأنّ التّشاؤم سوء ظنّ بالله تعالى بغير سبب محقّق. والتّفاؤل حسن ظنّ به، والمؤمن مأمور بحسن الظّنّ بالله تعالى على كلّ حال"([1]).

وللناس في التشاؤم أيام معينة أو ساعات محددة أو أعداد معينة مما لا ينقضي منه العجب، لذا وجب أن نحذر التشاؤم، لأنفيه دلالة واضحة على نفس غير راضية بقضاء الله وقدره، ولا تجلب لصاحبها إلا الاعتراض والتبرّم على أقدار الله تعالى، ومن سَخطَ أقدارَ الله، فله السخط من الله، وكفى بذلك عقوبة؛ قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}** (محمد: ٢٨)

كما أن كثرة التسخط وانتقاد حال المسلمين سيفتُّ من عضد المسلمين، ويصيب بالحزن والقنوط نفوسهم، ومثل هذا من يردّد كلمات الخوَر والاستسلام يظنّ أنّه بذلك قد وجد لنفسه عذرًا يتخلّص به من محاولة القيام بالواجب، ومن كان هذا حاله لن يبني خيرًا، وفي حديث الصادق المصدوق (ﷺ) وهو يهذب النفوس ويربيها على نبذ التشاؤم فيقول (ﷺ) : **(إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)**.([2])

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

(٢) رواه مسلم، ح (٦٨٥٠). وقوله: أهلكهم على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: الرفع أشهر، ومعناه أشدهم هلاكا، وأما (رواية الفتح) فمعناها هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة، واتفق=

وقال ابن القيم: "الطيرة باب من الشرك، وإلقاء الشيطان، وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنُها على مَن أتْبَعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحلُّ عمَّن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها بالَه، ولا شغل بها نفسه وفكرَه، واعلم أن من كان معتنيًا بها قائلًا بها، كانت إليه أسرعَ من السيل إلى منحدرٍ، فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمَعه ويراه ويُعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يُفسد عليه دينه، ويُنكِّد عليه عيشَه".(1)

=العلماء على أن هذا الذمّ إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم، قالوا فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه.

(1) مفتاح دار السعادة (2 /584).

المبحث الرابع

التفاؤل في بعض آي القرآن الكريم وسوره

إنه مع قراءتنا لكتاب الله سيأتينا اليقين العظيم أن انشراح الصدر وترقب الأمل المشرق سينزل على قلوبنا بعد تلاوة صادقة لكتاب الله (ﷻ)، لأنه أعظم مصدرٍ للتفاؤل، والمانح للأمل، لكن ينبغي ملاحظة أن التفاؤل ومشتقات هذه الكلمة لم ترد في القرآن، لكن جاء ما يدل عليها بشكل واضح، مثل الدعوة للرجاء والأمل وحسن الظن بالله (ﷻ)، وعظيم التوكل والاعتماد عليه سبحانه، ومن الآيات المتعلقة بالتفاؤل ما يأتي.

آيات الرجاء:

من العوامل التي تجعل الإنسان يعيش في تفاؤل وأمل في مسيرته في الحياة وجود حسن الظن مع ربه سبحانه، والذي يقال له الرجاء، والمراد به النظر إلى سعة رحمة الله تعالى والثقة بجوده وفضله وكرمه([1])، الدال على الأمل الّذي هو نقيض اليأس، وقال الرّاغب: "الرّجاء ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة"([2])، ويقول ابن حجر: "المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقعت منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور".([3])

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (١/ ٣٢).

(٢) المفردات للراغب (ص:١٩).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٠١) .

والقرآن ممتلئ بآيات الرجاء، ومن ذلك قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)**} (البقرة)، قال القرطبي: "وإنما قال: {**يَرْجُونَ**} وقد مدحهم لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ، لأمرين:

أحدهما: لا يدري بما يختم له.

والثاني: لئلا يتكل على عمله، والرجاء ينعم، والرجاء أبدا معه خوف ولا بد، كما أن الخوف معه رجاء.

والرجاء من الأمل ممدود، يقال: رجوت فلانا رجوا ورجاء ورجاؤه، يقال: ما أتيتك إلا رجاؤه الخير. وترجيته وارتجيته ورجيته وكله بمعنى رجوته.[1]

وقال تعالى: {**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)**} (الأعراف)، قال السعدي: "{**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**} من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: {**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**} المعاصي، صغارها وكبارها، {**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**} الواجبة مستحقيها {**وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**} ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي (ﷺ) ظاهرا وباطنا، في أصول الدين وفروعه".[2]

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٥٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٠٥).

آيات الصبر:

يأتي التفاؤل شاملا لكلِّ مجريات حياتنا بعدم توجيه النظر إلى ما نتعلق به وفق مقاييسنا، لكن وفق ما قدره الله لنا، وهو الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** (البقرة: ٢١٦)، فالخير قد يكون في الشر، والسعادة قد تكون في الشدة، والفرح قد يكون في الحُزن.

فكل المصائب والشدائد إذا ما قُورنت برحمة الله وفضله هانت وتلاشت، قال الله تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}** (البقرة: ١٥٥ – ١٥٧)، فتلك البشرى للمتفائلين الواثقين برحمة الله، ولن نجد أمة تدعوها شريعتها إلى نبذ الأحزان والتعلق بالبشارات مثل هذه الأمة المباركة، قال تعالى: **{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: ١٣٩]، ولو زادت مكائد الأعداء، وبذلوا الوسع الجهد والمال للصدِّ عن دين الله، فقد جاءتنا البشارة بأن هناك التمكين والنصر من الله تعالى، فعلينا بالتفاؤل، يقول تعالى: **{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}** (التوبة: ٣٢، ٣٣).

والنصر متحقق بوعد الله لعباده الصالحين: يقول تعالى: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** (الروم: ٤٧)، **وقال سبحانه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}** (غافر: ٥١)، وعلينا بالتفاؤل، والتعلق

بالأمل، وذلك بقرب الفرج والنصر من الله، يقول تعالى: **{إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}** (البقرة: ٢١٤).

آيات الاقتداء:

من المعلوم أن النفس البشرية تتعزى بحال غيرها مع حلول وتقاذف المصائب عليها، وهذا ما جاءت شريعتنا بالنظر إليه، وهذا ما جاء التوجيه إلى نبينا لتذكره، قال تعالى: **{أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ}**(الأنعام: ٩٠)، قال القرطبي: "الاقتداء طلب موافقة الغير في فعله. فقيل: المعنى أصبر كما صبروا"([1])، ونلاحظ في هذه الآية ورد الذكر لثلة كريمة للأنبياء وكأن الأمر فيه تذكير لسيدنا محمد بالنظر إلى أحوالهم في الدعوة والبلاغ، وعدم دخول اليأس في النفس، فقال السعدي: "**{أُولَئِكَ}** المذكورون **{الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}** أي: امش - أيها الرسول الكريم- خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل (ﷺ) فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين".([2])

ولو اعترى المسلم شيء من وسوسة الشيطان ببث الشك في قلبه، فليتذكر توجيه ربه له، من وجود التفاؤل بتحقق وعد الله لمن يحب من خلال أطلال من سبقوا، يقول تعالى: **{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (آل عمران: ١٣٧ - ١٣٩).

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٣٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٦٣).

المبحث الخامس

التفاؤل عند أنبياء الله (عليهم السلام) من خلال آي القرآن الكريم

لقد أراد ربنا منا أن نكون في تأهب لا كدار وتقلبات الحياة، وما يكون فيها وفق تقدير الله واختباره لعباده، قال تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** (البقرة: ١٥٥)، ولا يعقب هذه الابتلاءات والمكدرات إلا البشارات العظيمة، وهذا التذكير القرآني بالبشارات {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}، لتبعث في نفوسنا التفاؤل، وتبعد عنها اليأس.

وقصصا لأنبياء (عليهم السلام) في صفحات القرآن الكريم؛ لتروي لنا التفاؤلَ بادياً في تعاملهم مع الأزمات والمحن، فالأمل والتفاؤل صفتان حَرص الأنبياء والرسل على التحلي بهما في مختلف الأوقات وأكثرها صعوبة، وهي السبب الرئيسي في نجاح الأنبياء نحو مواصلة تبليغ رسالاتهم السماوية دون يأس أو إحباط، فهذا نبي الله يوسف وأبيه يعقوب (عليهما السلام) قد ضربا لنا أروع الأمثلة في التفاؤل.

التفاؤل في قصة نبي الله يوسف (عليه السلام).

إن قصة نبي الله يوسف ممتلئة باللطف الرباني الدال على أهمية التعلق بالتفاؤل ولو كانت الأحوال مسودة على الإنسان، وهذا ما نلحظه في كلمة يعقوب (عليه السلام): **{يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** (يوسف: ٨٧)، قال البيضاوي: "قوله تعالى: **{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** بالله (عز وجل) وصفاته، فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شيء من الأحوال".[1]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٧٤).

وقال السعدي: "{**وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ**} فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه، وقوله {**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**} فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه".([1])

ولو الفتنا إلى حال نبي الله يوسف لوجدنا فيه نفسه عظيم الثقة بربه للدلالة على تفاؤله بين غيوم الآلام، قال تعالى: {**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**} (يوسف: ١٠٠)، فبالرغم من كونه ضمن أكثر الرسل الذين مروا بمحن شديدة خلال حياتهم وخلال الدعوة، وبالنظر إلى قصة يوسف يمكننا التأكد من هذا، فقصته (عليه السلام) هي أكبر مثال، على أهمية التفاؤل في حياتنا، فالمرء بين يدي ربه العليم الخبير.

نبي الله أيوب (عليه السلام)

إن نبي الله أيوب (عليه السلام) من أشد الأنبياء ابتلاء، فقد تعرض لابتلاء شديد، ففقد كلَّ ما يملك من مال، كما فقد أبناءه، وأضف إلى ذلك أنه فقد صحته، حيث عانى من المرض الشديد الذي تسبب في أن يقعد تمامًا عن الحركة.

رغم كل تلك المحن التي مرت بأيوب (عليه السلام) لم يفقد ثقته وإيمانه بالله (جل جلاله)، وصبره على ابتلائه، جاء البيان القرآني في ذلك يحكي قصته، فقال تعالى: {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**} (الأنبياء: ٨٣) فنبي الله أيوب (عليه السلام) لم يزد في تضرعه عن وصف حاله بقوله: {**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**}، تأدبا مع ربه في عرض بلواه، وتفاؤله بحسن استجابته، وبهذا الأدب

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٤٠٤).

والإخلاص، كانت الإجابة المتمثلة في قوله تعالى: **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}** (الأنبياء: ٨٤).

نبي الله موسى (عليه السلام):

وفي قصة نبي الله موسى (عليه السلام) الكثير من الحوادث، ونلاحظ فيها عدم تطرق اليأس إلى قلبه (عليه السلام) لحظة واحدة، لأن قلبه موصول بالله (عز وجل) متوكلٌ عليه واثقٌ من فرجه وقدرته ورحمته، فبعد أن خرج (عليه السلام) مطارداً وكان فقيراً، لم يستسلم للضعف والوهن واليأس والقنوط، يل دأب على مداومة الدعاء، قال تعالى: **{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)}** ثم بعد خدمته للفتاتين قال: الله عنه: **{فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}** (القصص: ٢٢ – ٢٤) فتفتح له الأبواب، وتتيسر أمامه الأمور، ويدخل في بشارات كثيرة منها الزواج، ويمر بالإجارة، ويدخل ميدان العمل، ويكلل بالنبوة، ويخص بأن يكون كليم الله (عز وجل).

وخير شاهد على تفاؤل موسى (عليه السلام) في المصائب أن فرعون وجنوده تبعهم حتى إذا وصلوا إلى شاطئ البحر وفرعون من خلفهم، قال الله في ذلك: **{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** (الشعراء: ٦١)، فقال لهم نبي الله موسى (عليه السلام) في ثقة وتفاؤل ويقين: **{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** [الشعراء: ٦٢]، فكان من نتائج وثمرات تفاؤله وعدم يأسه وقنوطه أن جاءه الفرج من اله سبحانه: **{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ}** (الشعراء: ٦٣ – ٦٦).

أما نبينا محمد (ﷺ):

فإن المتأمِّل في سيرة النبي (ﷺ)؛ يجدها مليئة بالتَّوكل على الله، وحُسنِ الظَّن به سبحانه، وهما أساسا التفاؤل، فلا عجب فهو إمام المتفائلين وسيدهم، ومن أوضح الأمثلة الدالة على تعلقه بالتفاؤل، ما جاء عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) سمع كلمة فأعجبته، فقال: (أخذنا فألك من فيك)([1])، وتقريره: قد أخذنا فألك الحسن أيها المتكلم من فيك، وإن لم تقصد خطابنا، وإنما يعجبه الفأل لأن فيه الأمل والرجاء من الله (سبحانه وتعالى)، وفي الطيرة وغيرها سوء الظن بالله بوقوع النبلاء([2])، فأبطله.أي: تفاءَلْنا من كلامك الحَسَن تيمُّناً به.

وفي يوم الأحزاب يوم اجتمع شدة البرد والجوع والخوف حتى ربط (ﷺ) على بطنه الشريف حجرين من شدة الجوع وكان الصحابة لا يستطيع أحدهم أن يذهب فيقضي حاجته، تحكي لنا آيات الذكر الحكيم شدة الموقف فقال الله تعالى عن حالهم: **{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}** (الأحزاب: ١١)، وكان النبي (ﷺ) في هذا الوقت العصيب يبشرهم بأمر عظيم ويدعوهم إلى التفاؤل وعدم اليأس! فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال : لما أمرنا رسول الله (ﷺ) أن يحفر الخندق، عرض لنا فيه حجر لا يأخذ فيه المعول، فاشتكينا ذلك إلى رسول الله (ﷺ) فجاء رسول الله (ﷺ) فألقى ثوبه وأخذ المعول، وقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة، قال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الآن من مكاني هذا، قال: ثم ضرب أخرى وقال: بسم الله وكسر ثلثاً آخر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب ثالثة وقال: بسم الله

---

(١) رواه أبو داود، ح (٣٩١٧). وأحمد، ح (٩٠٤٠)، وحكم الألباني بصحته في السلسلة الصحيحة (٣٥٣/٢).

(٢) بذل المجهود في حل سنن أبي داود،(٦٤٦/١١).

فقطع الحجر، قال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر باب صنعاء.(1)

ونلاحظ أنه بعد ذكر قصص وأحوال الأنبياء في سورة الأحقاف تأتي الالتفاتة الربانية إلى النبي (ﷺ) بعدم اليأس، تنبيهًا واستباقًا من أن يدب اليأس إلى نفسه، قال تعالى: {**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**} (الأحقاف: ٣٥)، وقال مكي: "أي: فاصبر يا محمد على ما تلقاه من قومك كما صبر أولوا العزم من الرسل من قبلك على ما لقوا من قومهم من التكذيب والمكاره، فصبر نبيّه على ما يناله من قومه من الأذى والمكروه وعلّمه أن ذلك قد لقيه الرسل قبله ليتأسى بهم، وأولوا العزم من الرسل الذين كانوا امتحنوا مع قومهم في ذات الله في الدنيا، فلم تردهم المحن عن تبليغ ما أرسلوا به وإنذار من أرسلوا إليه في الدنيا"، وقال القرطبي: "فكأن الله تعالى يقول لرسوله (ﷺ): اصبر، أي كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى".(2)

وفي موضع آخر من القرآن يقول تعالى: {**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)**} (النحل: ١٢٧، ١٢٨)، وكان لتذكر النبي (ﷺ) بأحوال إخوانه الأنبياء باعث للأمل وكريم التفاؤل في نفسه، ومن هنا مقولته (ﷺ): (يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)(3).

(١) النسائي، ح (٨٨٥٨). مسند أحمد، ح (١٨٦٩٤).

(٢) تفسير الهداية (١١/ ٦٨٧٢)، تفسير القرطبي (٢٢١/١٦).

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٢).

المبحث السادس

دراسة لبعض أسماء الله في القرآن المتعلقة بالتفاؤل

من أروع المعارف التي على المرء المسلم تعلمها واستغراق الوقت فيها دراسة أسماء الله الحسنى وتدبر معانيها، واستظهار جمالياتها في حياته، واستشعار آثارها في واقعه، لتبعث في نفسه أمورا عديدة ومنها الأمل والتفاؤل وكريم الظن بأقدار الله سبحانه.

ودراسة هذه المعاني هي محور النظر في هذا المبحث بإذن الله تعالى، وهي كالآتي:

اسم الله: "الرحمن والرحيم":

الرحمن والرحيم من الأسماء التي تبعث على الرجاء، ولها تعلق واضح في حياتنا في كل حال وشأن، ومن ذلك إضفاء جو التفاؤل علينا بإشراقات مباركة، قال تعالى: {**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (٣٩)} (المائدة)، وقال الإمام مكي: "فمن تاب من هؤلاء السراق من بعد سرقته وأصلح، {**فَإِنَّ الله يَتُوبُ عَلَيْهِ**} أي: يرجعه إلى ما يحب ويرضى عن ما يسخطه، {**إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} أي: ساتر على من تاب، رحيم بعباده الراجعين إليه"(١)، وهذه نفحات ربانية مشرقة على النفوس الخاطئة بوجود الرجاء الباعث على التفاؤل ف الحياة، ولا يكون العاصي في يأس من رحمة الله تعالى، ولهذا فإن أن من فَقِه اسمي الله "**الرحمن**" و"**الرحيم**"، علم أنه إنما يعيش برحمة الله وفضله، وعَظُم حبه لربه، وزاد فرحه بخالقه، وكبر تعلقه برازقه، وحسن ظنه بباعثه، ويجعله في أمل كريم، وتعلق مبهر، وتفاؤل مشرق سعيد، ويقين لا يتزحزح بإذن الله (جل جلاله).

---

(١) الهداية (١٧٠٧/٣).

ومما يزيدنا حباً لربنا (ﷻ)، وتعلقاً برحمته، وتفاؤلاً بمغفرته وعفوه، أنه جعل جزاء السيئة سيئة واحدة، وضاعف الحسنة بعشر أمثالها، فقال تعالى: **{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** (الأنعام: ١٦٠)، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن النبي (ﷺ) فيما يروي عن ربه (ﷻ) قال: قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة».([1])

ولذلك كان الدعاء باسم "الرحيم" على لسانَ الأنبياء (عليهم السلام)، ومنهم نبينا (ﷺ) الذي أمره الله تعالى فقال: **{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}** (المؤمنون: ١١٨)، كيف لا وهو القائل: **{قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** (الأنعام: ١٢)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي»([2]) قال المناوي (رحمه الله): "فمن اطمأنت نفسه، وأشرق قلبه بالنور، حسن ظنه بربه، لأن ذلك النور الذي في صدره، يريه من علائم التوحيد ما تسكن النفس إليه، فيظن أن الله كافيه، وحسبه، وأنه كريم، رحيم، عطوف، فيجد ذلك عنده".([3])

---

(١) صحيح البخاري، ح (٦٤٩١). صحيح مسلم، ح (٣٥٥).

(٢) صحيح البخاري، ح (٣١٩٤). صحيح مسلم، ح (٧١٤٦).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، (٢٧٦/١).

اسم الله: "الغفور".

سمى سبحانه نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وهذه تعطي للمتدبر للقرآن التفاؤل الكريم على سعة مغفرة الله سبحانه لكل ذنب يقع من المخطئ، فالغفر في حق الله سبحانه "هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره"(1)، "والمغفرة من الذنوب هو إلباس الله الناس الغفران وتغمدهم به"(2)، قال تعالى: **{نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغفور الرحيم}** (الحجر: ٤٩)، أي "الساتر لذنوبهم إذا تابوا واستقاموا، الرحيم بهم أن أعذبهم على ما تقدم من ذنوبهم بعد توبتهم واستقامتهم"(3)، وأخبر عن نفسه سبحانه: **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ}** (الكهف: ٥٨) أي: "البليغ المغفرة"(4)، وقال الحليمي: "وهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته"(5).

وحين يعلم العبد أن له رباً يعفو ويصفح ويغفر للزلات والكبائر، ويتجاوز عن الذنب بفضله، سيجد في نفسه المبادرة السريعة إلى سيده طلبا لمغفرته وعفوه، فلا يقنط من من رحمته أو عدم قبول توبته، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "قال الله تعالى: **"يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابنَ آدمَ إِنَّك لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"**(6)، وقال السعدي: "الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفا، كل أحد

---

(١) تفسير الأسماء للزجاج (ص:٣٨).

(٢) غريب الحديث (٣٤٨/٣).

(٣) الهداية (٦/ ٣٩٠٧).

(٤) تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٢٨٥).

(٥) المنهاج (٢٠١/١).

(٦) رواه الترمذي (٣٥٤٠).

مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها".([1])

اسم الله: "اللطيف":

اللطف في أفعال الله يفيد أنه يسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون، وهذا مثل قول الله تعالى {**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**} (الطلاق: ٣)، وهو المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون([2])، واللطف هو "البر والتكرمة والتحفّي"([3])، وهذه المعرفة الكريمة في نفس العبد تجعله يعيش في رجاء بالغ، وأمل عظيم، وتفاؤل مشرق برعاية ربه له سبحانه، وتفضله عليه في كل حال، وتسخير كل صالح له، قال الخطابي: "(اللطيف) هو البرّ بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله تعالى: {**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩)**} (الشورى)".([4])

ولطف الله بالعبد من الرحمة، بل هو رحمة خاصة؛ فالرحـــــمة التي تصل إلى العبد من حيث لا يشعر بها أو بأسبابها هـــي اللطف، كما قال تعالى: {**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**} (البقرة: ٢١٦)، فكل إنسان يريد لطف الله به، وذلك بأن يتولاه ولاية خاصة بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، قال الحليمي: "وهو الذي يريد بعباده الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح والبر".([5])

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (ص:٤٤).

(٣) لسان العرب (٥/ ٤٠٣٦).

(٤) شأن الدعاء (ص:٦٢).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٢/١).

ولطف الله تعالى يظهر بتفضله تعالى بما شاء منه على من يشاء من عباده ممن يعلمه محلاً لذلك وأهلاً، أن يكرمه بأن يوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وانتظار الفرج وكشف الضر؛ فيخف ألمه وتنشط نفسه، ويعيش في أمر ورجاء مع قدر ربه، وله الأمثلة الكثيرة، ومن ذلك:

لطفه بعباده أنه يقدِّر لهم أرزاقهم بعلمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتِهم؛ فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح؛ فيقدر لهم الأصلح وأن كرهوه لطفاً بهم، قال تعالى: {**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**} [الشورى: ١٩)، وهذا مما يجعل العبد في راحة نفس وتفاؤل للمستقبل من عمره، وابتعاد عن هموم قادمة.

ومن لطفه بعبده أن يقيِّض له إخواناً صالحين، يعينونه على الخير ويشدون من أزره في سلوكه سبيل الاستقامة، وهذا اللطف هو الذي أنعم به الله على موسى، وجعله في تفاؤل ورجاء على ما سيأتي أمام فرعون، حيث قال تعالى: {قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور، ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد".([1])

اسم الله: "الوهاب".

اسم الله (الوهاب) من الأسماء الدالة على معاني واسعة وعظيمة دالة على رزق الله سبحانه لعباده، والباعثة على جميل التفاؤل بسعة فضل وعطاء الله لمن يشاء([2])، وفي معرفة هذه المعاني الرائعة سبل مشرقة لبث قيمة التفاؤل في القلوب، ويكون بلسماً في أرواحهم لمداواتها من اليأس.

---

(١) تفسير البيضاوي (١٧٧/٤).

(٢) النهاية لابن الأثير (٢٣١/٥)، تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (٣٨/١)، مقاصد الشريعة الطاهر بن عاشور (٤٣٧/٢).

والوهاب هو الذي لا يرتبط رزقه بسبب يُبذل بل هو هبة ربانية، فإنه سبحانه يهب "العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابا، وهو من أبنية المبالغة"(1)، وأكثر الخلق إنما يهبون من أجل عوض ينالونه، كأن يهب لأجل أن يمدح بين الناس، أو يهب من أجل الثواب في الآخرة.(2)

ولو نظر كل إنسان في حاله لعلم أن جميع ما به من نعم إنما هي بتفضل من ربه عليه، قال تعالى: **{وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** (النحل: ٥٣)، أي: "وما يكن بكم من نعمة فمن الله"(3)، وسيعلم يقيناً أنه في نِعم لا تحصى فوق ما سأل، قال تعالى: **{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}** (إبراهيم: ٣٤) أي: إنعامه لا تُحْصُوها لا تُطيقوا الإتيان على جميعها بالعَدِّ لكثرتها"(4)، وهذه الحقائق ستفيض على النفس إشراقات الأمل بالله، وحسن الظن به، وتنشر عليهم سعادة ورضا وسرور يملأ الصدور، ويطمئن القلوب، ويطلق اللسان بالشكر والثناء والتحميد للعزيز المجيد، لهذه المعاني العظيمة التي تذكرنا بجماليات اسم الله الوهاب لتبعث في نفوسنا التفاؤل، وغيرها مثل ما يأتي:

أولا: أن الوهاب قد تصرفت مواهبه في أنواع العطايا، والجزيل المن والأفضال واللطف، من كثرت عطاياه ودامت، لا يقطع فضله في كل حال، يعطي بلا وسيلة وينعم بلا سبب ولا حيلة، والخلق إنما يملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولداً لعقيم، ولا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٣١).

(٢) شرح الأسماء للرازي (ص:٢٤،٢٥)، المقصد الأسنى (ص:٤٩).

(٣) معالم التنزيل، تفسير البغوي (٣/ ٨٣) دار إحياء التراث العربي.

(٤) زاد المسير (٢/ ٥١٤).

هدىً لضال، ولا عافية لمريض، ولا رزقاً لمخلوق، ولا أمناً لخائف، ولا يملكه إلا الملك الوهّاب: **{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}** (الحجر: ٢١).

ثانيا: أن الوهاب قد علّم خلقه وقت الأزمات كيف يتوجهون إليه بطلب الهبات والمنح، ولا يتوجه المحتاج إلا لمن بيده ملكوت كل شيء، وهذا مما يدعو للتفاؤل وتحقق الرجاء، أن المنح والهبات منه سبحانه وفق علمه وتقديره بما يصلح حال الإنسان، وفي التنزيل: **{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)}** (لشورى: ٤٩، ٥٠)، قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، و **{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا}** أي: **يرزقه البنات فقط، {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}** أي: يرزقه البنين فقط. **{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}** أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا **{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}** أي: لا يولد له، **{إِنَّهُ عَلِيمٌ}** أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، **{قَدِيرٌ}** أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك".(١)

ثالثا: نتذكر أن الوهاب سبحانه واسع العطاء عظيم الهبات، يرتع في عطاياه البر والفاجر، ويمد كل من أتى بأسباب الرزق بما يناسبه، لا يخلو أحد من عباده من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده، هباته تتوالى على عباده في دنياهم وترافقهم في أخراهم دون انقطاع ولا نفاد، بل في نماء

(١) تفسير ابن كثير (٢١٦/٧)، بتصرف.

على مر الدهور والآباد: {**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**} (ص: ٥٤)، وقال النسفي: "الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته".(١)، وهذا ما يجعل الإنسان يعيش في فال حسن، كريم ظن بربه.

(١) تفسير النسفي (٤/٣٥) الألوسي (٢٣/١٦٨).

الخاتمة

بفضل الله تم الفراغ من هذا الموضوع بما يتناسب مع مباحثه، وإن كان الأمر يستحق التفصيل وذكر المزيد أكثر فيه، ولكن لعل القليل فيه توضيح لكثير يراد بيانه.

ومن توفيق الله أن تم اختيار هذا الموضوع الذي له تعلّق كبير واضح في حياة كل مسلم وغير مسلم، بل وجودنا على الأرض ولو زمن محدود من أروع ما يدفعنا للتمتع بالجمال فيها بالأمل والتفاؤل ونبذ للأحزان مع وجود المكدرات الكثيرة، وهذا يعد في حذا ذاته الدافع للتعلق بالأمل والتفاؤل بعد توفيق الله، والعون منه.

والله اسأل أن يجعل فيما قدمت الخير والفائدة والتوفيق، وأن يغفر الزلة والتقصير، إنه نعم المولى ونعم النصير

أهم النتائج والتوصيات

أولا: أهم النتائج

- التفاؤل من الفأل، وهو سماع كلاماً حسناً فيتيمن السامع به، وهو ضد الطيرة.
- تعددت أقوال العلماء في بيان آثار التفاؤل بحسب النظرة حول هذا الموضوع، ومن تلك النظرات الكريمة بأنه النظرة الإيجابية والإقبال على الحياة.
- المتدبر لآيات ربنا يرى بين ثنايا الكلام المبارك الدعوات للتفاؤل، والداعية لحسن الظن بالله، وكريم الرجاء به لعواقب الأمور.
- مع كل عمل يحتاج العامل إلى دافع وحافز ليمضي في عمله لبلوغ حاجته، ومن هنا جاءت الحاجة إلى معينات، ومنها: التفاؤل بما يراه حوله أثناء انطلاقه لبلوغ ما يأمل ويسعى.
- حذر ديننا من الالتفات لكل ما يثبط العزيمة، ويفلي الهمم، كالطيرة والتشاؤم.
- اعتنى علماؤنا بالتفاؤل أيما اهتمام، وفصلوا القول في بيانه وضوابطه ومنها الحرص على فهم مساره وفق ما قرره العلماء، والحذر من مشابهة أفعال الكفار في جلب الفأل لأنفسهم.
- يمكن تقسيم التفاؤل إلى تفاؤل المشروع، وآخر المحرم، فالأول هو: ما يأتي اتفاقاً من غير قصد لمن مضى في فعله، والثاني وهو أخذ الفأل من طريق غير مشروع مبتدع، فيتعلق به.

ثانيا أهم التوصيات

- على المسلم ألا ينجرف إلى الوسائل المحدثة لطلب الفأل من القرآن.
- آيات القرآن ممتلئة بجوانب التوحيد الدال على التفاؤل ولابد من فهمها فهما صحيحا.
- لو اعترى المسلم شيء من وسوسة الشيطان ببث رفس الشك في قلبه، فليتذكر توجيه ربه له، من وجود التفاؤل بتحقق وعد الله لمن يحب من خلال أطلال من سبقوا.
- قصص لأنبياء (عليهم السلام) تروي لنا التفاؤلَ بادياً في تعاملهم مع الأزمات والمحن، وهي السبب الرئيس في نجاح الأنبياء نحو مواصلة تبليغ رسالاتهم السماوية دون يأس أو إحباط، مما يفرض علينا التأسي والاقتداء بهم (عليهم السلام).
- من فَقِه أسماء الله عَظُم حبه لربه، وزاد فرحه بخالقه، ويجعله في أمل كريم، وتعلق مبهر، وتفاؤل مشرق سعيد، ويقين لا يتزحزح، فلابد من فقه هذا جيدًا.
- إذا يسر الله لعبده وسهل له طرق الخير، وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيَّض له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له، وهذا يجعله في جوٍّ من التفاؤل والانطلاق للحركة والعمل المشرق، فليقدر الإنسان قدر الله فيه وليرضى به ويعلم أنه الخير.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم جل مَن أنزله.

٢- التفاؤل في زمن الكروب، د. عبد الله العسكر، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

٣- التفاؤل والتشاؤم، المفهوم والقياس والمتعلقات، د. محمد بدر الأنصاري، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر، ١٩٩٨م.

٤- التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥- الطيرة والفأل، لسعاد بنت محمد السويد، مكتبة الملك فهد، الرياض،

٦- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت

٨- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث، بيروت.

٩- المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٠- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، تحقيق: تقي الدين الندوي، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.
١٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية
١٦- تفسير أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.
١٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١م.

١٩- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن آل سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٢١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٢٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٣- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٢٤ شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢٥- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٦- صحيح البخاري، ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٧- صحيح مسلم المسمى بالجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

٢٨- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
٢٩- فقه الأسماء الحسنى، عبدالرزاق البدر، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
٣١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٢- مجموع فتاوى ورسائل ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الرياض، الطبعة : الأخيرة، ١٤١٣هـ.
٣٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادرالرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
-٣٦ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٣٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٣٩- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

فهرست الموضوعات

